



## الدرس العاشر



الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{سنبدأ في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول أبي جعفر الطحاوي -رحمه الله: (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).}

- هذه الجملة من أواخر الجُمْل في العقيدة الطحاوية، يقول الطحاوي -رحمه الله: (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).
- يعني: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة الموافقون لكتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما عليه سَلَف الأُمَّة؛ يرون ويعتقدون عقيدةً جازمة راسخة لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا).

والدليل على هذا من القرآن، ومن السُّنَّة، ومن حال سَلَف الأُمَّة.

★ أمَّا القرآن: فيقول الله -سبحانه وتعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فحبلُ الله الذي أمرنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالاعتصام به هو: الإسلام، وهو القرآن، وهو النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أي: سُنَّتُه -صَلَّوات ربي وسلامه عليه؛ فهذه تجمع كلمة المسلمين، وبها تأتلف قلوبهم، وتتوحد كلمتهم.

★ ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

★ وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فجعل الله -عزَّ وجلَّ- المتفرقين في الدين الذين فرقوا الدين وصاروا شيعًا وأحزابًا ليسوا من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وليس منهم، فقال: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وهذا وعيدٌ شديدٌ، لأنَّ كونَ الذي ينتسب للإسلام يُقال له: إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليسَ منك في شيء؛ فهذا وعيدٌ شديدٌ جدًا، يعني: أنتَ لستَ من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أي شيء، حتى لو ادعيت أنَّك مِن أتباعه، وهذا يدلُّ على أنَّ الفرقةَ زيغٌ وعذابٌ، وأمَّا الجماعةُ فهي حقٌّ وصوابٌ ورحمةٌ.

★ والله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، نسأل الله العافية والسلامة.

• والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر افتراق اليهود والنصارى على بضعةٍ وسبعين فرقة، ثم قال: «وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»<sup>١</sup>، فهذا الحديث يدلُّ على وجود هذا الافتراق، وأنَّ كثيرًا من أفراد هذه الأمة يترك منهاج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إمَّا عنادًا واستكبارًا، وإمَّا تقليدًا أعمى وتعصبًا، وإمَّا جهلًا، نسأل الله العافية من هذه الأهواء كلها.

• والصَّحابة -رضيَ الله عنهم- لم يسألوا عن الطوائف الضَّالة لكثرتها؛ ولأنَّ السُّؤال عنها ليس بكثيرِ فائدة؛ لأنَّ السُّؤال المهم الذي ينفع الإنسان هو معرفة الحقِّ، ولزوم الحقِّ، والعمل بالحقِّ، ولهذا قالوا للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (من هي؟)، أي: الفرقة التي ستَنجُو وتَسلم، والفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة التي قال فيها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»<sup>٢</sup>.

• وإذا نظرتَ إلى القرآن؛ فإنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فوعدهم بالنَّصر.

• وفي موضع آخر قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، فوعدهم بالنَّجاة؛ فعلم من هذا أنَّ الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية، وأنَّ الفرقة النَّاجية هي الطائفة المنصورة، وهذه الفرقة النَّاجية ليست مختصةً ببلد، أو بقبيلة، أو بجنسٍ من البشر، فالذي يقوم بأمر الله -عزَّ وجلَّ- ويتمسك بحبل الله وهو القرآن والسُّنة، ويسير على نهج سلفِ الأمة هو من هذه الطائفة ومن هذه الفرقة، فكلُّ مسلمٍ على وجه الأرض كان على هذا النحو يُرجى له هذا الفضل العظيم «عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، فمَن تحرَّى

<sup>١</sup> رواه الترمذي (٢٦٤١) وحسنه ابن العربي في "أحكام القرآن" (٣/ ٤٣٢)، والعراقي في "تخريج الإحياء" (٢٨٤/٣) والألباني في "صحيح الترمذي".

<sup>٢</sup> مسلم (١٩٢٠)

نهج النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم- كان من أهل النَّجاة والنُّصرة، وهذا يُبين لنا عدم صحة من يرمي أهل السُّنَّة والجماعة بأنهم يتعصَّبون لبلدٍ مُعَيَّن، أو لجنسية مُعَيَّنة، أو لقبيلة مُعَيَّنة، أو لأرضٍ مُعَيَّنة ويقول: أنتم تدعون أنَّ الأرضَ الفلانية وأهلها هم النَّاجون وأنَّ النَّاسَ كُلَّهُم في النَّار!

نقول: إنَّ هذا كلام غير صحيح، ولم يقله عالم!

• وإنَّما الموعود بالنَّجاة والنُّصرة هم المتمسِّكون بالكتاب والسُّنَّة السَّائرون على نهج سلفِ الأُمَّة من جميع أقطار الأرض، فبينهم من الولاء والمحبة والأخوة في الله كما قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»<sup>٢</sup>، فرباط الإيمان ورابطة الإسلام أقوى رابطة، وهي مُقتضى الولاء للمؤمنين، الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين.

فالولاء للمؤمنين يقتضي: أن يُحب المؤمن كلَّ مسلمٍ وكلَّ مؤمنٍ على وجه الأرض، وأن يبغض كلَّ كافرٍ على وجه الأرض، حتى لو كان من أقرب النَّاسِ إليه.

#### ؟ ما المراد بالجماعة؟

• إنَّ لفظَ الجماعة لفظٌ شرعيٌّ، والألفاظُ الشرعيَّةُ يجبُ قبولها وإيمان بها حتى ولو لم نعرف معناها على شموله، ولكن -والله الحمد- قد وُضِّح معناها في الكتاب والسُّنَّة توضيحًا كافيًا وشفافيًا، لكن من الأغلاط أن بعض النَّاسِ يأخذ اللفظَ الشرعيَّ فينزله على أمورٍ من البدع، أو من الضَّلالاتِ أو من الأخطاء التي عند النَّاسِ.

• مثال ذلك: أن بعض النَّاسِ يتصوَّر أنَّ الجماعة يُراد بها جماعته هو، فبعض النَّاسِ يُشكِّل جماعة، أو يضع جماعةً تبدأ بشخصٍ، ثم مجموعة، ثم يتجمَّعون ويسمُّون أنفسهم "الجماعة" ويقولون: نحن جماعة كذا...، بعضهم يُطلق "جماعة الإخوان المسلمين" أو "جماعة التبليغ والدَّعوة" و"الأحاب" أو جماعة كذا...، فيسمون أنفسهم جماعةً، ثم يظنُّ أنَّ النُّصوصَ في لزوم الجماعة، أي: لزوم جماعتهم هم، وهذا من الأخطاء الفاحشة؛ لأنَّه لا يجوز أن تُنزل النُّصوص على فهمك أنت الخاطئ في المراد بالمصطلحات الشرعية، فالمراد بالمصطلحات الشرعية يُرد إلى الكتاب والسُّنَّة حتى يفهم على وجهه.

• فالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديث السابق قال: «عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، وفي حديث «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، هذا كلام النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «وهم الجماعة على الحق»، يعني: المتمسِّكون بالحقِّ، وبالكتاب والسُّنَّة، السَّائرون على نهج الصَّحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

<sup>٢</sup> رواه البخاري (٦٠١١)، ورواه مسلم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

• ومسألة السَّائرون على نهج الصَّحابة أو على فهم سَلَفِ الأُمَّة؛ تُخرج طوائف المبتدعة؛ لأنَّ أغلب المبتدعة وأغلب الفرق يقولون: نحن نحبُّ الكتاب والسُّنة، ونَتَّبِعُ الكتاب والسُّنة! ولكن لو جاءت الآية أو جاء الحديث قال: لا، هذا الفهم غير صحيح، وأنا لا أقبل هذا! أنا أقبل كلام شيخي، وكلام فلان، وكلام علان...! الحَكَم هو ما فعَلَه الصَّحابة بهذه الآيات، وما آمنوا به، وما اعتقدوه؛ لأنَّهم هم قدوتنا، وهذا القيد المهم يَقْضي على كثيرٍ مِنَ البدع التي أحدثها المُحدِّثون، وابتدعها المبتدعون.

هذا الأمر المهم وهو أنَّ الجماعة لا يُمكن أن تفسر بغير ما فسَّره النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبغير ما ورد في الكتاب والسُّنة.

• والجماعة في الشرع تُطلَق على جماعتين، وردت النُّصوص فيهما، وكلاهما معنًى صحيح:

□ **الجماعة الأولى:** الجماعة العلمية، جماعة العلم، جماعة لزوم الكتاب والسنة والحق. وهذا مثلما تقدم في الحدث «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، فكونهم على الحق يعني تمسُّكوا بأدلة الكتاب والسُّنة. إذن هذه جماعة العلم الذين تمسَّكوا بما كان عليه سلف الأُمَّة وساروا عليه، وبهذا يخرج المبتدعة الذين ابتدعوا بدعة الرِّفْض كالرافضة، أو بدعة الخوارج، أو بدعة الإرجاء، أو بدعة القدر، أو بدعة الاعتزال، أو بدعة القول بالجبر، أو بدعة نفي الصِّفات أو الأسماء، وغير ذلك من البدع التي أحدثها المُحدِّثون، فخرجوا مِنَ الجماعة؛ لأنَّهم خالفوا الحقَّ في هذه المسائل.

□ **الجماعة الثانية:** جماعة الأبدان، أو جماعة السُّلطان، وهذا جاء في حديث ابن عباس في صحيح البخاري وفي غيره، ولكن هذا اللفظ أقرَّاه على الإخوة في الباب الثاني من كتاب الفتن من صحيح البخاري، وأورد عدة أحاديث، ومن هذه الأحاديث: حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً».

ثم أورد البخاري نفسه -رحمه الله- حديثًا عن ابن عباس عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً»، فعلم أنَّ الجماعة هو السُّلطان، والسُّلطان هو الجماعة.

**؟ ما المراد بالجماعة على أنها هي السُّلطان؟**

- أي: عدم الخروج عليه، الاجتماع على الحق، الاجتماع على ولادة الأمور، وعلى إقامة الجُمُوع والجماعات، وعلى السَّمع والطَّاعة في غير مَعْصِيَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وهذا المعنى يأباه الخوارج والمعتزلة، وكثير من أهل الأهواء ويخرجون عن هذا، وكذلك قطاع الطرق والبغاة، وكذلك غيرهم من أهل البدع.
- فالخروج على السُّلطان خروجٌ عن جَمَاعَةِ المسلمين، ولهذا مَنْ سَلَّ السَّيْفَ عَلَى جَمَاعَةِ المسلمين وإمامهم يُقال: خَرَجَ عن جَمَاعَةِ المسلمين.



- وفي حديث حذيفة بن اليمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وعن أبيه قال: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك. فقال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»<sup>٥</sup>، فالمراد بجماعة المسلمين هنا: المجتمعون على أمير أو على حاكم، أو على ملك؛ فتلزمهم، ولا تخرج عليهم، ولا تسلّ السيف، أو تعتقد بطلان حالهم، وتشدّ عنه وتنشق عنهم وتعارضهم، لا، ما دام أنّ المسلمين مجتمعون على هذا فحتى لو كان عنده تقصير ومعاصي؛ فإنّك لا تطيعه في المعصية، ولا ترضى بالمعصية، ولكن لا تنزع يداً من طاعة، فهذا المعنى معنًى صحيح وشرعي.

○ فجماعة العلم: تعني لزوم الحق، ولزوم الكتاب والسنة.

- وجماعة السُّلْطَان: أي لزوم السُّلْطَان في طاعة الله ورسوله، وذلك في غير معصية، أما إذا صار فيه معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- يقول: (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْنًا وَعَذَابًا)، فلزوم الجماعة بهذين المعنيين هذا رحمة وحق وصواب.

- لو اجتهد ولي الأمر اجتهادًا خاطئًا وأمر الناس بهذا الاجتهاد، أو أمر بمعصية؛ فأنت في هذه الحال لا تخرج عن الجماعة ولا تتمرد، ولا تشقّ العصا، ولا ترفع السيف على أمة محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأجل خطأ هذا الحاكم ومعصيته أو اجتهاده، وإنّما تلزم الحقّ في نفسك، وتعتقد الحقّ، وتدعو إليه بالطريقة الشرعيّة الصّحيحة، وتنصح إذا تمكّنت من النصيحة بالطريقة الرّاشدة؛ لأنّ النصيحة لا بدّ أن تكون في محلّها وبالطريقة الشرعيّة، فهذا هو المشروع للمؤمن، وإذا كان الحاكم على حالٍ طيّبة فهذه نعمة من الله -عَزَّ وَجَلَّ- على المسلمين، وإذا كان الحاكم في بعض البلدان على حالٍ أسوأ وأساء حتى لو كان داعيةً إلى البدع؛ فإنّه يُصبر عليه، ولا يُخرج عليه، وإذا تمكّن أهل الخير والعلم من مناصحته يُناصحونه بحكمة حتى يرجع إلى السنة وإلى الحق، وإذا لم يستجب فإنهم يصبرون حتى يستريح برّ -يعني يموت- أو يُستراح من فاجر -يعني يموت هذا الفاجر الذي أذى الناس بهذه الأمور.

- فالمقصود أنّ لزوم الجماعة يقتضي عدم الخروج والتّمرد وعدم سلّ السيف، كما أنّ لزوم الجماعة يقتضي لزوم الحقّ، وعدم متابعة الباطل وأهله حتى ولو كان حاكمًا، فإذا أمر بباطلٍ فلا يُطاع فيه، فالإنسان يلزم الجماعة ولا يُطيع في الباطل ولا يُؤيِّده، وفي نفس المقام لا ينزع يداً من طاعة ولا يخرج عليه. (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْنًا وَعَذَابًا).

- هنا يقودنا المقام إلى مسألة الاختلاف الواقع بين الأئمة والتّنازع، ولا شكّ أنّ الجميع يعلم كثرة التّفريق والتّحرُّب والعداوات التي حدثت في القرون المتأخّرة، وهذا شيءٌ مُقدّر لحكمةٍ بالغةٍ حتى يبتلي الله -عَزَّ وَجَلَّ- العباد، فالواجب على كلّ مؤمنٍ ومؤمنة أن يُطيع الله ورسوله، وأن يجتهد في فهم معاني الكتاب

<sup>٥</sup> رواه البخاري (٦٦٧٣) ولفظه: عن حَدِيثِهِ بْنِ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْحَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ خَافَهُ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْحَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْحَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنَكِّرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْحَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَخَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَتَنَكَّلُمُونِ بِاللِّسَانِ قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَرِلْ بِلَاكِ الْفُرْقِ كُلَّهَا وَلَوْ أَنَّ تَعْصَى بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ.

والسُّنَّة، والعمل بمقتضاها، والدَّعوة إلى ذلك، والصَّبْر على ذلك حتى يلقي الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومحَبَّة الخير للمسلمين، ويعتقد المسلم أنَّ المسلم أخو المسلم في أي مكانٍ في الأرض، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يَهْضِمُه، ولا يخذله، ولا يحقره، ولا يَحْقِد عليه، ولا يحسده على خير؛ فكلُّ هذا لا يجوز، وهذه المحَبَّة بين المسلمين من لزوم الجماعة، والتَّألف بينهم، وبث روح الخير والألفة والمحَبَّة، وتقريب القلوب من بعضها.

• كذلك أن يُعْطَفَ قلب الرَّايعي على الرَّعية، فبعض النَّاس قد يكون قريبًا من السُّلْطَان أو الحاكم، فيأتي عند الحاكم يُجالسه، فالواجب عليه أن يُعْطَفَ قلبه تجاه رعيَّته المسلمة، ويقول: هؤلاء ارحمهم، واصبر على جهلهم، وأحسن إليهم، واستمع لنصائحهم، ويُذكره بالأشياء الطَّيبة حتى يُعْطَفَ قلب الحاكم على الرعيَّة.

والعكس كذلك؛ أن يُعْطَفَ قلوب الرَّعيَّة على الراعي والحاكم، فيأتي عند الرعيَّة والنَّاس ويقول لهم: الحاكم فيه خير، وادعوا له بظهر الغيب، وأبشروا بالخير، وما نظنُّ به إلا كلَّ خير، وإن شاء الله كلَّ خير قريب، وهكذا يُقَرَّب القلوب حتى تجتمع الأُمَّة.

أما إذا صارت الأمور محل حدة و غضب لا حد له؛ فتتصاعد الفتن وتكثر -نسأل الله العافية والسلامة-

• والواجب على المسلمين أن يكون أمرهم واحدًا، واجتماعهم واحدًا، ويدهم واحدة على مَنْ عاداهم، ويجب عليهم أن يَتَنَاصَحُوا فيما بينهم، لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»<sup>٦</sup>، فكلُّ يحتاج إلى نصيحة، حتى أئمة المسلمين وعامتهم.

• أمَّا إذا استمرَّت الأمور على الإحْن وعلى إيغار الصُّدُور، فبعض النَّاس يأتي إلى المنكرات في بعض البلدان ويأتي عند العائمة ويقول: انظروا لهذه المنكرات، فإنَّ سبب هذا هو الحاكم! ويوغر صدورهم على ولي الأمر، فتكون النتيجة إذا احتنقت القلوب وصار فيها غيظٌ لم تستجب لهذا الحاكم، وصار فيها التَّمرد، وتكون العاقبة أن إذا أمرهم بأمر لا يستجيبون إذا كان في مصحلة لهم، أو إذا أحسن لهم يظنُّون به السُّوء لما أوزَّته ذلك الإيغار الشَّدِيد، وهناك الآن حملات إعلاميَّة لإيغار صدور المسلمين بعضهم على بعض، وإيغار صدور المسلمين على ولاة أمورهم، وهذا من الشَّيْطان وأعوانه، ولا يجوز مثل هذا، لأنَّ الأمور إذا استمرت على التَّصعيد ستكون هناك فتن وخروج، ودماء تُهْرَق بغير حقٍّ.

• أمَّا جمع الكلمة وتأليف قلوب المسلمين فيما بينهم، وتأليف المسلمين على الرَّايعي؛ فهذا تُحَقَّن به الدِّماء، وتُحَفَظ به النفوس، وتُصَانَ به الأموال، وكذلك تَأْمَنُ المجتمعات، ويَأْمَنُ النَّاس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

• فالواجب أن نَجْتَمِع على طاعة الله ورسوله، وأن نتألف، وأن نبثَّ المحَبَّة فيما بين المسلمين، خصوصًا فيما بينهم وبين ولاة أمورهم، وفيما ينشُب بينهم من خلافات ونزاعات، نسعى في الصُّلح والإحسان، لأنَّ هذا من تمام لزوم الجماعة.

<sup>٦</sup> رواه مسلم (٥٥) عَنْ تَجِيم الدَّارِيِّ

- وكذلك مِنْ تَمَامِ لزوم الجماعة: لزومُ الجُمُوع والجماعات والأعياد، وشهودها مع المسلمين، وأن نشارك المسلمين في سرورهم، نفرح لفرحهم، ونحزن لحزنهم، وأن يُعَادَ المرضى، وأن تُتَبَعَ الجنائز، وأن يُنصَحَ المسترشد، كما قال النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«حق المسلم على المسلم خمس»**، وذكرها، فهذه كلها من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.
- ثم يقودنا الحديث إلى الاختلاف الدائر، فبعضه اختلاف مأذون فيه شرعاً، وبعضه اختلاف محرم شرعاً.
- فأما الاختلاف المأذون به شرعاً: فهو اختلاف التَّنَوُّع.
- ومن هذا الباب:

❖ **صفة الأذان**، فقد وردَ الأذان عن نبيِّنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِصِيغَةِ بلال بن رباح -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وبصِيغَةِ أَذَانِ أَبِي محذورة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وهذا الأذان سُنَّة.

❖ **كذلك دعاء الاستفتاح في الصَّلَاة**، فادعية الاستفتاح في الصَّلَاة وردت على عدَّة أوجه عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكلها صحيحة ومأثورة عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمَنْ فعل هذا فلا حرج، وَمَنْ فعل هذا فلا حرج.

❖ **كذلك صيغ التَّشَهُّدِ الأوَّل**: هناك صيغة عبد الله بن مسعود وهي مشهورة، وكان يعلمها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأصحابه كما يُعَلِّمهم السُّورَةَ من القرآن. وهناك صيغة عبد الله بن عباس، ثابتة في صحيح سلم، فصيغ التَّشَهُّد والاستفتاح في الصَّلَاة، وكذلك التَّكْبِيرَات في الجنَازة، وكذلك صيغة صَلَاة الْخَوْف؛ وما جرى على هذا المجرى يعتبر من خلاف التَّنَوُّع، لا يجوز أن يبغي بعضُ النَّاسِ على بعض، فإذا أخذ بعض المسلمين في بعض المناق بسُنَّة، ومضوا عليها، وتعارفوا عليها، ومَشَوْا عليها، كَأَن يُؤَذِّنُونَ أَذَانَ أَبِي محذورة؛ فلا يُنكَر عليهم، ولا يَأْتِي واحدٌ يقول: أَيْشٍ هذا الأذان؟!

نقول: هذا سُنَّة مأثورة عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالبغي لا يجوز في هذا.

- ومن ذلك أيضاً ما يكون فيه اجتهاد، ويأتي الشرع بتقرير واستحسانٍ وَحَمْدِ الطَّرْفَيْنِ، مثال ذلك: في سورة الأنبياء: **﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾** [الأنبياء: ٧٨]، يعني: رعت ليلاً، فرعت الغنم ليلاً في مزرعة فيها عنب، فأتلفت المزرعة، فصاحبُ الزَّرْعِ تضرَّرَ، فالعنب تَلَفَ والزَّرْعُ تَلَفَ، والعريش الذي للعنب تَلَفَ بسبب دخول الغنم ليلاً، فحكم فيها نبيُّ الله داود بحكم، وابنه سليمان حَكَمَ فيها بحكم، قال تعالى: **﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾** (٧٨) **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾** [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، انظر لقوله تعالى: **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾**، أثنى على حكم سليمان، وأثنى على الطَّرْفَيْنِ بقوله **﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾**، وهذا دليل على أَنَّ داود حكمه صحيح، وسليمان حكمه صحيح، ولكن سليمان أدق؛ لأنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾**.

- وكذلك قطع النَّخِيل في غزوة خيبر، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة الحشر: **﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [الحشر: ٥]، فكله بإذن الله وبشرعه، القطع جائز للتعزيز

والعقوبة، والترك جائز لمصلحة المسلمين، لأنها إذا صارت غنائم تكون مصلحةً للمسلمين، ولهذا فإن الصحابة اختلفوا، فبعضهم رأى قطع الأشجار، وبعضهم رأى عدم قطعها، فقال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، فكله بشرع الله -عزَّ وجلَّ- وهذا تساوى فيه الطرفين.

• ومن ذلك أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»<sup>٧</sup>، فالصحابه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- صاروا إلى بني قريظة في الغزو طاعة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأدركتهم الصلاة وهم في الطريق، فطائفة قالت: إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يرد منا أن نؤخر صلاة العصر إلى الليل، وإنما أراد منا أن نبادر بالمسير، فأخذوا بالمعنى، فصلُّوا العصر في وقتها وساروا. وآخرون قالوا: لا، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمرنا ألا نصلي إلا إذا وصلنا إلى بني قريظة، فأخذوا بالظاهر.

فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما بلغه هذا لم يُعَيِّف إحدى الطائفتين، فهذا مما يُسمى بالاختلاف في الاجتهاد، وهو محل قبول في الشريعة، ومحل حمدٍ وثناء.

• ومنه قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»<sup>٨</sup>، فهذا الاختلاف بنوعيه -اختلاف التنوع أو الاختلاف الناتج عن الاجتهاد ولم يخالف الدليل- هذا اختلاف يُعتبر محموداً، ومُقرراً في الشريعة.

• أمَّا الاختلاف المذموم: فهو اختلاف التضاد، وهو الناتج عن التعصُّب، وعن ترك الدليل، والعناد، ومخالفة الحق لهوى، قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رِيبِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]، فهذا اختلاف تضاد، وهو اختلاف في العقيدة. أيضاً الاختلاف في العمل إذا نتج عن تعصُّبٍ، وليس عن اتباع للدليل، فبعض الناس يسمع الآيات ويسمع الأحاديث ويقول: أنا لا آخذ بها لأجل قول فلان!

• حتى أن أحدهم في القرن الثاني عشر في حاشية الجمل على الجليلين، في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]، لما ذكر الخلاف في الاستثناء في قول: "إن شاء الله" هل هو في المجلس أو بعده بيوم...، إلى آخره، وذكر الأقوال، فهذه مسألة خلافية. ولكن المشكلة لما قال هذه العبارة الخطيرة: "لا يجوز الأخذ بقول الصحابي إذا خالف المذاهب الأربعة" ثم قال: "بل لا يجوز الأخذ بالآية والحديث إذا خالفت المذاهب الأربعة"! فهذا تعصُّب مقيت. ثم جاءت الطائفة الثالثة والأشد، لما قال: "الأخذ بالظواهر من أصول الكفر"!!

<sup>٧</sup> رواه البخاري (٣٨٩٣)

<sup>٨</sup> رواه مسلم (١٧١٦)



يعني جعلوا كلام الله -عَزَّوَجَلَّ- من أصول الكفر-نسأل الله العافية والسلامة!

- فهذا الاختلاف الذي نتج عن التَّعَصُّب، حتى صار بعضهم يُفتي أنَّه لا يجوز للشافعي أن يُصلي خلف الحنفي، ولا المالكي يُصلي خلف الحنبلي، بل لا يجوز أن يتزوج شافعي من حنبلية، أو مالكي من حنبلية، ونحو ذلك من التَّعَصُّبات التي نتجت عن التَّقْلِيد، والتَّعَصُّب الشَّدِيد، فنتج عنها العداوات والتفريق بين المؤمنين، وتفريق جماعة المسلمين بمثل هذا، ففرقوا الجماعة، ولذلك فنحن نرى **(الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيِّغًا وَعَذَابًا)**، فهذا من الافتراق؛ لأنَّه غير ناتج عن اجتهاد مقبول، ولكن ناتج عن تعصُّب للرأي، وتعصُّب للمذهب إذا خالف الدليل -نسأل الله العافية والسلامة.
- فالاختلاف بين الفقهاء تقدَّم معنا أنَّنا نعذر الفقهاء، والاختلاف بين الفقهاء محل اجتهاد بينهم -رحمة الله عليهم- مع محبَّتنا وتقديرنا لجميع الفقهاء، وسبق أن ذكرنا أن ابن تيمية ذكر الأعداء لأهل العلم في كتابه المشهور "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" وذكرنا أن الأعداء العشرة التي ذكرها الشيخ إلى ثلاثة، ويمكنكم مراجعة الدرس في أعداء العلماء، لما ذكر العلماء السابقين ومحبَّتهم.
- ومع هذا لا يجوز لنا أن نتَّبِعهم إذا خالفوا الدَّلِيل، فإذا لم يظهر للإنسان شيء؛ فإنه لا بأس أن يأخذ بقول العالم، فإذا ما عرف الترجيح لكونه جاهلاً، أو بعيداً عن الأدلة، أو مشغولاً بديناه فلا يتفرَّغ للنَّظَر في الأدلة؛ فلا بأس أن يسأل أهل العلم الذين يثق بعلمهم ودينهم؛ وحينئذٍ يكون هذا من الاتِّبَاع، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولكن بشرط أن يسأل أهل الثِّقَّة والرُّسوخ في العلم، ولا يكون للتَّشَبُّهِ أو لتتَّبِع الرُّخص.
- فهذا الكلام العظيم **(وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيِّغًا وَعَذَابًا)**، يقول عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: **"وَأَنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِّمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ"**<sup>٩</sup>.
- يعني: بعض الناس إذا صار مع جماعة المسلمين في البلد، قد يرى أحياناً نقصاً في الأموال، أو يرى أحياناً بعض الظلم على بعض الناس، أو يرى بعض الأشياء التي يضيق منها صدره ويضطرب فؤاده؛ فيتخيَّل أنَّه يُهاجر إلى بلاد أخرى، وبعضهم يذهب إلى بلاد الكفار، وبعضهم يظن أنه لا بيعة لولي الأمر، ولا سمع ولا طاعة، فيخرج عن جماعة المسلمين حتى ولو كان معهم، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً»**، فهو يظن بجهله أنَّه إذا فعل هذه الأشياء، كأن يخرج ويهرب، أو تمرَّد، أو صار من المعارضين؛ يظنُّ أنَّه حاز على خيراتٍ كثيرة، ولا يدري هذا المسكين الجاهل أنَّه باع دينه، وأنه تعرض للفتن الأعظم والأخطر، وهذا معنى قول ابن مسعود **"وَأَنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِّمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ"**.

<sup>٩</sup> رواه الحاكم ولفظه: الزُّمُوْا هَذِهِ الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَأَنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِّمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً قَطُّ إِلَّا جَعَلَ لَهُ مَنْتَهَى، وَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ نَمَّ وَإِنَّهُ صَائِرٌ إِلَى تَقْصَانٍ، وَإِنَّ أَمَارَةَ ذَلِكَ أَنْ تُقَطَّعَ الْأَرْحَامُ، وَيُؤْخَذَ الْمَالُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَيُسْفَكَ الدِّمَاءُ وَيَشْتَكِي دُو الْقَرَانَةِ قَرَانَتُهُ، وَلَا يُعَوَّدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَيَطُوفُ السَّائِلُ بَيْنَ الْجُمُعَيْنِ لَا يُوضَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ، فَيَبْتَغِي هُنَّ كَذَلِكَ إِذْ خَارَتْ خَوَازِ الْبَقَرِ يَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ إِنَّمَا خَارَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَيَبْتَغِي النَّاسُ كَذَلِكَ إِذْ قَدَفَتْ الْأَرْضُ بِأَفْلَاحِ كَيْدِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لَا يَنْقَعُ نَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

• والجميع يذكر أنَّ كثيرًا من البلدان التي وقع فيها ما وقع حتى بلادنا قبل مائة سنة لما حدث فيها بعض القلاقل وزالت عنها الجماعة؛ ماذا حدث للقبائل؟ وماذا حدث لأهل القرى والمدن؟ والبلدان الآن الذي حدث اختلال فيها، ماذا حدث لها لما زالت الجماعة؟

حدث قلاقل عظيمة، لا يأمن الناس على أنفسهم، ولا على أموالهم، ولا على أعراضهم -نسأل الله العافية والسلامة وأن يُلطف بالمسلمين في كل مكان.

فاجتماع المسلمين ووجود الجمعة، ووجود الحاكم يجتمعون عليه؛ هذه نعمة كبيرة، فإذا كان هذا الحاكم يحكم بالشريعة الإسلامية -كما في المملكة العربية السعودية- والله الحمد- هذه نعمة عظيمة جدًا، فنحمدُ الله على هذا، ونشكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- على هذه النعمة، ونحافظ عليها، وندعوا لولاة الأمر بالهداية والصلاح والمعافاة.

• وكذلك البلدان الأخرى، نسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يوفق حكامها، وأن يجمع قلوب الجميع على طاعة الله ورسوله، وأن يوفق حكام جميع البلدان المسلمة للحكم بالشريعة الإسلامية وبالكتاب والسنة؛ فهذا ما نرجوه، وندعو الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يهيئه للمسلمين ولحكّامهم، حتى تجتمع كلمتهم، وتقوى شوكتهم بإذن الله، ويندحر عدوهم.

فمقتضى الجماعة: محبة الخير للمسلمين.

والفرقة خطر عظيم، وأنها الفرقة الاعتقاديّة، يعني أن تُفارق الحق، فبسق أن ذكرنا أن الجماعة لها معنيان:

المعنى الأول: جماعة العلم، وهي جماعة لزوم الحق.

المعنى الثاني: عكس جماعة العلم؛ وهي أن تفارق منهج أهل السنة والجماعة، فتقع في الأهواء.

• قد يقول قائل: هذه الفرق الضالّة هل سيدخلون النار كلهم؟

نقول: هذا الحكم قاله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلها في النار إلا واحدة»، ولكن انتبه أن هذا حكم مطلق، أمّا التعيين كأن تقول: إنّ فلان بن فلان من هذه الجماعة أو تلك كافر؛ فهذا ليس لنا، وسبق معنا الدروس أن أهل السنة والجماعة لا يحكمون على مُعين لا بجنةٍ ولا بنارٍ إلا مَنْ شهد له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وشهد له الكتاب، وشهدت له السنة.

### ؟ ما الموقف من هؤلاء؟

• نقول: هؤلاء فيهم المعاند الذي يعلم أنّه خالف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على بصيرةٍ، هو يدري ويعتقد أنّ طريق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هنا، وهو لا يريد، فهذا متوعّد بالنار، لأنه يعلم الحق فعاند.

✓ وفيهم المتأوّل الذي تأويله باطل وغير مقبول، فهذا يلتحق بهذا.

✓ وفيهم المتأوّل المخطئ الذي يلحق بالجاهل، أو الذي يُقلّد، فهذا أقرب إلى أهل السنة، وقال النبي -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأُمِّي مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ»<sup>١٠</sup>.

<sup>١٠</sup> رواه البخاري (٢٥٢٨) ومسلم (١٢٧)

وفي القرآن يقول ربنا -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فهؤلاء إذا تبيّن لهم الحق وبُيّن لهم ثم أصرّوا؛ فحينئذٍ هم توعّدون بهذا الوعيد، فمن عرف طريقة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يجب عليه أن يلزمها، فهذه مسألة مهمّة جدًّا، وليس معنى أنّنا نقول: إن هذه الفرق ضالّة أنّنا نحكم على كل واحدٍ من أفرادهم أنّه في نار جهنّم؛ لا؛ بل هذا أمر غيبي، ولكن نقول: إنّ هذه الفرق الضالّة فيها رؤساء، وفيها أناس معاندون، وفيها أناس مجتهدون مخطئون ضالون ولا شك، صحيح وإن كانوا مجتهدين ولكنهم ضلُّوا السبيل، ولكن هذا الضال المجتهد غير الضال المعاند، ثم هذا الذي ضلّ عن اجتهادٍ ما درجة المخالفة لديه؟ هل وقع في الشّرك الأكبر؟ هل عبد غير الله؟ فيكون خرج عن السُّنّة وعن الإسلام.

لو كان فقط غلط في بعض مسائل الأسماء والصفات، أو بعض مسائل الإيمان والإرجاء، كأن يكون وقع في بعض مسائل الإرجاء في الإيمان، أو نحو ذلك؛ فهذا لا يُكفّر إذا كان عن تأويل سائغ، كما عليه عامّة أهل السنة والجماعة.

- وإن كان قال هذا الشيء عن خطأ ولو نُبّه رجوع عنه؛ فهذا لا يؤاخذ، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فهم ليسوا في منزلة واحدة ولا درجة واحدة، وبالتالي إذا قيل لك: قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلها في النار»، هل نحكم على كل الفرق بأنها كلها في النار؟ نقول: هذا فيه تفصيل:

أولاً: هذا وعيدٌ، فكل من اتّبع فرقة غير النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصحابة والسلف الصالح هو متوعّد بهذا الوعيد.

والواجب على كل مسلم إذا سمع هذا الوعيد من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يُخاطب كل الإنسان نفسه، في غرب الأرض، وفي شرقها، وفي شمالها، وفي جنوبها؛ إذا سمع أن النّاجي هو من كان على ما كان عليه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه أن يقول لنفسه: عليّ أن أجتهد في تحري اتّباع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصحابة.

- إذا صدق في هذا الاتّباع وُفّق، ولو عقد نيّته على هذا ثم وقع منه غلط، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، وإذا عقد نيّته ثم نكص على عقبيه، وقال: لا أخالف الآباء والأجداد وأسير على طريقتهم، ولا ألّفت إلى ما كان عليه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصحابة؛ فهنا يكون متوعّد بالنّار-نسأل الله العافية والسلامة.

فكلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوضع على موضعٍ ولا يُغالي فيه بحيث أن نحكم على المعيّنين، ولا يتساهل فيها بأن يُقال أن الحديث لا يشمل أحد، وكل الناس بخير!

- إذا عقد الإنسان نيّته على طاعة الله ورسوله، واتّباع الصحابة فهو على خير، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، لو تأملت هذه الآية في سورة النساء، وأعدت قراءتها وتفسيرها من كتب التفسير المعتمدة، ثم راجعت هذا الحديث؛ تبين لك أن الحديث موافق للآية، وأن الآية تُبين معنى الحديث.

- الحديث يقول: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً». قالوا: مَنْ هي الواحدة؟ قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، قال تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المؤمنون هنا هم الصَّحابة، فأوَّل مَنْ يدخل في هذا الخطاب هم الصَّحابة، فهم لهم سبيل وطريق، فيترك هذا الطريق ويتَّبِعْ غيره ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

### ؟ ما العقوبة؟

- قال: ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. إذن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتبع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن يطلب الهدى الذي جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويتبع سبيل المؤمنين -وهم الصحابة- ومَنْ سار على منهاجهم قدر طاقته، ولا يُكلف الله نفسا إلا وسعها، ومَنْ اتقى الله أعانه، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فهذا الأمر عظيم!
- فنحذر من الفرقة، ومن متابعة الفرق الضَّالَّة، وننتبه إلى مسائل التكفير، فإنَّها مسائل منضبطة عند أهل السنَّة والجماعة، فلا يتجرأ عليها الإنسان إلا بعد أن يتعلم، ويلزم طريقة الرَّاسخين في العلم، فليست الطوائف الضَّالَّة والفرق الضَّالَّة -الثلاثة وسبعين- كلها كافرة؛ لا، ولا نقول: إن ليس فيهم كافر، لا؛ بل قد يكون فيهم الكافر المرتد عن دين الله مثل المنافقين نفاقًا اعتقاديًّا، وهذا موجود في غلاة الرافضة وغلاة الجهميَّة، فذكر عنهم العلماء أشياء عظيمة من الخروج عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والخروج عن الإسلام، حتى قال الإمام أبو عبد الله البخاري صاحب الصحيح: "والله ما أبالي صليت خلف اليهود والنصراني، أم صليت خلف الجهمي والرافضي"، فهذه كلمة عظيمة، تدل على أن هؤلاء يكونون فيهم من الزندقة والكفر والخروج عن شريعة الله، والخروج عن شريعة الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومعاودة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن علم ومشاقَّة الدِّين -نسأل الله العافية والسلامة.
- وأهل السنة والجماعة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم وأن يثبتنا على طريقتهم، وأن يهدينا سبيل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسبيل المؤمنين والصحابة والتَّابعين؛ فهؤلاء هم الجماعة، (وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَدَابًا).

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

